لـن يخدعني مـابدا في مظهـرهـا الخارجي، مـن ارتفـاع عن مـوروثات البيئـة المحلية، فأهمل رؤية ذلك الشـئ الذي ينتمي انتماء حميما إلى هذه الأرض وهذه البيئة، والذي يظهـر جليا في جمال وسواد عينيها، وكأنهما استعـارا هذا السواد وهـذا الجمال، من عينـي أجمل الغـزالات في الصحـراء الليبية ويظهـر في لـون بشرتها، ذلك اللـون الذي يشبه السهوب الـرملية التي انعكست عليهـا أشعة شمس آخر النهار، وتظهر أيضا في استدارة هذه الوجه القمري، وشدة صفائه ونقائه، متفقا مع مقومات الجمال كما يحددها الموروث الشعبي. ثم هناك شئ آخر، أبعد من أن يحيط به الوصف الخارجي، لأنه يتصل بتلك الدبدبات التي نتلقاها من إنسان تغذى بشمس وهـواء ذات البلاد التي تجمعنا، والتي تمنحنا شفرة سريـة، نستخدمهـا في الاهتداء إلى أبناء وبنـات بيئتنا. وقفـت ذاهلا، أتأملها، وأشكر الله أن كافأ رحلتي إلى مـركز المدينة بما رافقها من قلق وعناء، هذه المكافأة السخية التي لم أكن أنتظرهـا، فهاهو ا لوجه المألوف الذي أردت أن أراه، يتخذ شكـلا جديـدا وغير مألـوف، ولكنه عـامر بعنـاصر الدهشـة والإبهار، يتخـذ شكل امـرأة ليبيـة، نـزعت عـن وجههـا الأغلفـة القديمـة، وخرجـت إلى الشمس والهواء، وهي تتألـق جمالا وفتنة وكبرياء. ولعـل ليبيتها هذه، هـي التي جعلتني أنفعـل بجمالها أكثر من انفعـالي بكل من رأيـت من جميلات الدنيـا أثناء سياحاتي بـالخارج، لأنه جمال يخاطبني بلهجتـي المحلية ويتجه إلى مراكز الحس والذاكرة، فيثير كل العواطف والإنفعالات التي أنبتتها هذه البيئـة في نفسي. ولو كان عمري قـريبا من عمـرها وكنت شابـا أعزب لم أتزوج بعـد، لدخلت أعتـى المعارك من أجـل الفوز بها. ولكن قطـار العمر مضي بعيدا عـن أية محطـة تتيح لقاء بينـي وبينها ولم يبـق أمامـي إلا أن أطوي حسرتي في قلبي، واكتفي بنعمة النظر إليهـا والارتواء من جمال عينيها، دون أن أمد بصري وفكري إلى أبعد من ذلك.

كان أصحاب الدكاكين قد عادوا لاستخـدام مطارقهم، ونقش رسومهم،